تعليقات الشيخ ابن باز على ابن حجر في "فتح الباري" في مسائل العقيدة ومنهجه فيها

بحث مقدم لندوة

منهج الشيخ ابن باز في العمل للإسلام والدعوة إلى الله

جامعة الملك خالد

كلية الشريعة وأصول الدين

١٨-٢٠شعبان ١٤٢١هـ

إعداد

د. سليمان بن قاسم العيد

جامعة الملك سعود

كلية التربية – قسم الثقافة الإسلامية

١٤٢١ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كيراً، أما بعد:-

فلقد أحسنت جامعة الملك خالد رعاها الله بإقامة هذه الندوة المباركة عن شخصية علمية دعوية، إنه الشيخ عبد العزيز بن باز (رحمه الله) ومنهجه في العمل للإسلام والدعوة إلى الله . ذلك الرجل الذي رزقه الله العلم النافع، وبذل جهده في خدمة الإسلام والمسلمين في داخل هذه البلاد وخارجها، وهو الرجل الذي جد واجتهد في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى في ميادين شتى، وله باع طويل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكم دفع الله بسببه من الفتن عن المسلمين .

وإنه ليسر الباحث أن يتناول جانباً هاماً من حياة الشيخ العلمية وخدمته لطلبة العلم، بذلك العمل المتمثل في تعليقاته على كتاب الحافظ ابن حجر "فتح الباري"، وتمت تسمية البحث بـ (تعليقات الشيخ ابن باز على ابن حجر في فتح الباري في مسائل العقيدة، ومنهجه فيها).

أهمية الموضوع

تبرز أهمية موضوع البحث من نقطتين هما:-

١- قيمة كتاب "فتح الباري" فهو شرح لأصح كتاب بعد كتاب الله سبحانه وتعالى، ويصف لنا الشيخ ابن باز (رحمه الله) أهمية هذا الكتاب فيقول: «ولما لهذا الكتاب الجليل من المترلة الرفيعة بين أهل العلم، لما اشتمل عليه من إيضاح ما أشكل في الجامع الصحيح، وتخريج ما فيه من الأحاديث والآثار المعلقة، وبيان كثير من مسائل الإجماع والخلاف المتعلقة بأحاديث الكتاب، والتنبيه على كثير من أوهام بعض شراح الجامع الصحيح وغيرهم، وغير ذلك من الفوائد الكثيرة، والفرائد النادرة، التي اشتمل عليها هذا الشرح

العظيم، فبادرت إلى تحقيق هذه الرغبة، والمساهمة في إبراز هذا الكتاب العظيم الشأن إلى متناول أيدي القراء »[1] .

٢- قيمة تلك التعليقات التي ذكرها الشيخ، حيث انها تعليقات في مسائل العقيدة، ومعظمها يتعلق بصفات الله سبحانه وتعالى لا يحسن السكوت عنها، كما عبر الشيخ بقوله: «وجدنا للشارح رحمه الله أخطاء لا يحسن السكوت عنها، فكتبنا عنها تعليقاً يتضمن تنبيه القارئ على الصواب وتحذيره من الخطأ»[2] .

ما هي التعليقات

التعليقات التي يشملها البحث في مسائل العقيدة هي:-

١- تصويب الأخطاء .

٢- ترجيح الأقوال .

٣- بيان الأفضل في بعض المسائل .

منهج البحث

المنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج المسحي الموصول بالمنهج التحليلي. وذلك يعني حصر مواضع التعليقات وما ذكره الشيخ حولها، ومن ثم تحليل أقواله للخروج منها بمنهجه في هذه التعليقات .

حدود البحث

البحث محصور في المجلدات الثلاثة الأولى من الفتح (من كتاب بدء الوحي إلى كتاب الحج) وهذا القدر من الفتح هو الذي تمكن الشيخ (رحمه الله) من التعليق عليه. كما بين ذلك في خاتمة المجلد الثالث[3] .

---

(١) مقدمة الفتح ١ / ٣ .

(٢) مقدمة الفتح ١ / ٤ .

(٣) انظر (تنبيه واعتذار) في خاتمة المجلد الثالث . وكذلك انظر: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ ابن باز، جمع محمد بن سعد الشويعر ١٢/١ .

وأما من حيث موضوع التعليقات فهي محصورة في مسائل العقيدة فقط دون ما سواها.

إجراءات البحث

١- البداية بكتابة موضع التعليق من كلام ابن حجر، مع بيان موضعه من الفتح. وفي بعض الأحيان يتم التعقيب عليه ببعض الإيضاحات، إذا احتاج الأمر إلى ذلك .

٢- يذكر الباحث بعد ذلك تعليق ابن باز بنصه، ولا يحتاج في هذه الحالة بيان موضعه من الفتح ؛ لأنه في نفس الصفحة التي ورد فيها كلام ابن حجر. وقد يحتاج بعض الأحيان إلى إيضاح بعض الإشارات التي أشار إليها الشيخ ابن باز (رحمه الله) .

٣- يتم عزو الآيات، وتخريج الأحاديث التي وردت في كلام الحافظ ابن حجر أو كلام الشيخ ابن باز .

٤- تحديد المواضع التي أشار إليها ابن حجر أو الشيخ ابن باز في صحيح البخاري أو الفتح .

٥- في نهاية البحث يقوم الباحث بتحليل تلك التعليقات والخروج منها بمنهج الشيخ.

٦- يتم ترتيب المفردات داخل كل مبحث على أساس ورودها في الفتح .

تقسيم البحث

نظراً لتنوع الموضوعات العقائدية في هذه التعليقات، وبروز موضوعين فيها بشكل واضح رأى الباحث أن يكون تقسيم البحث على النحو التالي:-

المبحث الأول: صفات الله تعالى

المبحث الثاني: التبرك بالصالحين وآثارهم

المبحث الثالث: مسائل أخرى متفرقة في العقيدة

المبحث الرابع: منهج الشيخ في هذه التعليقات

هذا وأسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق والسداد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

تمهيد

لعل من المناسب قبل الشروع في إيراد التعليقات التعريف الموجز بالحافظ ابن حجر، وكتابه "فتح الباري" وذلك على النحو التالي:-

التعريف بابن حجر:

هو أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد بن حجر، العسقلاني الأصل، المصري المولد، والمنشأ . يكنى بأبي الفضل، ويلقب بشهاب الدين، ولد في شعبان سنة ٧٧٣هـ في أسرة اشتهرت بالعلم، والأدب، والفضل، وجمعت بين الاهتمام بالعلم، والاشتغال بالتجارة، ونشأ يتيماً ومات أبوه وهو صغير، ولقد منحه الله قدراً من الأخلاق الرفيعة، والخصال النبيلة، مع حسن الطلعة وجمال الهيئة، وكان (رحمه الله) ذا وقار، ومهابة، وعقل، وسكون، وسياسة، ودربة بالأحكام ومداراة الناس. توفي ابن حجر بالقاهرة في ذي القعدة سنة ٨٥٢هـ وله تسع وسبعون سنة [٤].

التعريف بكتاب فتح الباري

أسماه صاحبه بـ"فتح الباري بشرح صحيح البخاري" وإذا أطلق فتح الباري لا ينصرف الذهن إلا إليه، وكان سبب تأليفه ما ذكر ابن حجر في "هدي الساري" هو أهمية صحيح البخاري، وكونه متلقىً بالقبول لدى المسلمين عامة، ومكث في تأليفه ربع قرن كاملاً في الفترة (٨١٧-٨٤٢هـ). وعمل ابن حجر وليمة عظيمة عند إكماله، ولقد تميز "فتح الباري " بميزات عدة عن بقية شروح صحيح البخاري، ولعل الحافظ بشرحه هذا قضى الدين الذي تحملته الأمة في هذا الشأن . ولكن الكتاب لا يخرج من كونه جهد البشر ففيه بعض الأخطاء والملحوظات، التي جاء بعد ذلك العلماء لتصويبها والتبيه عليها وذلك خدمة للكتاب ولأهل العلم، ومن تلك التصويبات والتنبيهات تعليقات ابن باز (رحمه الله) وهي موضوع البحث [٥].

---

(٤) انظر: عبد الستار الشيخ، الحافظ ابن حجر أمير المؤمنين في الحديث، ص٢٧ وما بعدها. شاكر عبد المنعم، ابن حجر العسقلاني ودراسة مصنفاته ومنهجه وموارده في كتاب الإصابة، ص٦٣ .و محمد إسحاق كندو، منهج الحافظ ابن حجر العسقلاني في العقيدة، ص ٥١-١٤٣ .

(٥) انظر: محمد إسحاق كندو،منهج الحافظ ابن حجر العسقلاني في العقيدة، ص ١٤٥ – ١٦٧ .

المبحث الأول

صفات الله سبحانه وتعالى

من أهم المسائل وأكثرها التي علق عليها الشيخ ابن باز (رحمه الله) مسائل صفات الله سبحانه وتعالى، فقد ورد عند ابن حجر (رحمه الله) في الفتح تأويل بعض الصفات، كصفة المحبة والصوت واليد والنزول ونحوها، فجاء كلام الشيخ (رحمه الله) مبيناً منهج أهل السنة والجماعة فيها، كما يلي:-

صفة المحبة

في كلام ابن على حجر على باب "أحب العمل إلى الله أدومه" قال: ((قوله (أحب) قال القاضي أبو بكر بن العربي: "معنى المحبة من الله تعلق الإرادة بالثواب"[٦])).

وقد علق على هذا الشيخ ابن باز (رحمه الله) قائلاً: ((هذا من التأويل الباطل، والحق الذي عليه أهل السنة أن معنى المحبة غير معنى الإرادة، والله سبحانه موصوف بها على الوجه الذي يليق بجلاله، ومحبته لا تشابه محبة خلقه، كما أن إرادته لا تشابه إرادة خلقه، وهكذا سائر صفاته، كما قال تعالى:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[٧])).

صفة الصوت

وفي "باب الخروج في طلب العلم" أشار ابن حجر إلى حديث جابر عن عبد الله بن أنيس قال سمعت النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول: ((يحشر الله العباد فيناديهم بصوت)) الحديث[٨]. ثم قال ابن حجر بعد ذلك: ((لفظ الصوت مما يتوقف في إطلاق نسبته إلى الرب ويحتاج إلى تأويل))[٩].

---

(٦) فتح الباري ١/١٠٢ .

(٧) الشورى، الآية ١١ .

(٨) ذكره البخاري تعليقاً، الجامع الصحيح، كتاب التوحيد ٤/٤٠٠ .

(٩) فتح الباري ١/١٧٤ .

وعلى هذا التأويل علق الشيخ ابن باز (رحمه الله) قائلاً: «ليس الأمر كذلك بل إطلاق الصوت على كلام الله سبحانه قد ثبت في غير هذا الحديث عند المؤلف وغيره فالواجب إثبات ذلك على الوجه اللائق بالله كسائر الصفات كما هو مذهب أهل السنة والله أعلم».

وما أشار إليه الشيخ من وروده عند المؤلف فهو قوله (صلى الله عليه وسلم): «يقول الله عز وجل يوم القيامة يا آدم، فيقول: لبيك ربنا وسعديك، فينادى بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار قال يا رب وما بعث النار ...» الحديث[١٠] . كما وردت نسبة الصوت إلى الله في مسند الإمام أحمد[١١] .

(أين) و(حيث) في حق الله

وفي كلام ابن حجر عن قصة موسى والخضر[١٢] قال: «وفي قصة موسى والخضر من الفوائد أن الله يفعل في ملكه ما يريد، ويحكم في خلقه بما يشاء مما ينفع أو يضر، فلا مدخل للعقل في أفعاله، ولا معارضة لأحكامه، بل يجب على الخلق الرضا والتسليم، فإن إدراك العقول لأسرار الربوبية قاصر، فلا يتوجه على حكمه لم ولا كيف، كما لا يتوجه عليه في وجوده أين وحيث» [١٣].

قال الشيخ ابن باز (رحمه الله) معلقاً على هذا القول: «الصواب عند أهل السنة وصف الله سبحانه بأنه في جهة العلو، وأنه فوق العرش، كما دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنة، ويجوز عند أهل السنة السؤال عنه بأين؟ كما في صحيح مسلم أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال للجارية "أين الله؟ قالت في السماء" الحديث»[١٤] .

---

(١٠) الجامع الصحيح، كتاب التفسير، حديث رقم ٤٧٤١

(١١) من حديث عبد الله بن أنس، رقم ١٥٦١٢ .

(١٢) كتاب العلم، باب ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم فيكل العلم إلى الله ١/٥٩ .

(١٣) فتح الباري ١/٢٢١ .

(١٤) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، حديث رقم ٥٣٧ .

صفة الحياء

عن أم سلمة أم المؤمنين أنها قالت جاءت أم سليم امرأة أبي طلحة إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقالت: ((يا رسول الله، إن الله لا يستحيي من الحق، هل على المرأة من غسل إذا هي احتلمت؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): نعم، إذا رأت الماء))[١٥] .

قال ابن حجر في شرحه للحديث: ((الحياء لغة تغير وانكسار، وهو مستحيل في حق الله تعالى، فيحمل هنا على أن المراد أن الله لا يأمر بالحياء في الحق، أو لا يمنع من ذكر الحق، وقد يقال إنما يحتاج إلى التأويل في الإثبات))[١٦].

قال الشيخ ابن باز (رحمه الله): ((الصواب أنه لا حاجة إلى التأويل مطلقاً، فإن الله يوصف بالحياء الذي يليق به، ولا يشابه فيه خلقه كسائر صفاته، وقد ورد وصفه بذلك في نصوص كثيرة، فوجب إثباته له على الوجه الذي يليق به، وهذا قول أهل السنة في جميع الصفات الواردة في الكتاب والسنة الصحيحة، وهو طريق النجاة فتنبه واحذر والله أعلم)) .

الاستواء على العرش

عن أنس بن مالك أن النبي (صلى الله عليه وسلم) رأى نخامة في القبلة، فشق ذلك عليه، حتى رئي في وجهه، فقام فحكه بيده، فقال: ((إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنه يناجي ربه، أو إن ربه بينه وبين القبلة، فلا يبزقن أحدكم قبل قبلته، ولكن عن يساره أو تحت قدميه، ثم أخذ طرف ردائه فبصق فيه ثم رد بعضه على بعض، فقال: أو يفعل هكذا))[١٧].

---

(١٥) كتاب الغسل، حديث رقم ٢٨٢ .

(١٦) فتح الباري ٣٨٩/١ .

(١٧) كتاب الصلاة، حديث ٤٠٥ .

قال ابن حجر في سياقه لفوائد الحديث: ((وفيه الرد على من زعم أنه على العرش بذاته)) [١٨].

قال الشيخ ابن باز (رحمه الله): ((ليس في الحديث المذكور رد على من أثبت استواء الرب سبحانه على العرش بذاته؛ لأن النصوص من الآيات والأحاديث في إثبات استواء الرب سبحانه على العرش بذاته محكمة قطعية واضحة، لا تحتمل أدنى تأويل، وقد أجمع أهل السنة على الأخذ بها، والإيمان بما دلت عليه على الوجه الذي يليق بالله سبحانه، من غير أن يشابه خلقه في شيء من صفاته. وأما قوله في هذا الحديث: "فإن الله قبل وجهه إذا صلى"[١٩] وفي لفظ "فإن ربه بينه وبين القبلة" فهذا لفظ محتمل يجب أن يفسر بما يوافق النصوص المحكمة، كما قد أشار الإمام ابن عبد البر إلى ذلك، ولا يجوز حمل هذا اللفظ وأشباهه على ما يناقض نصوص الاستواء الذي أثبتته النصوص القطعية المحكمة الصريحة والله أعلم)).

والأدلة التي أشار إليها الشيخ كثيرة في القرآن والسنة، فمن القرآن قوله ﴿ الرحمن على العرش استوى﴾ [٢٠]. وقوله ﴿ ثم استوى على العرش﴾ في ستة مواضع من القرآن[٢١] . ومن السنة قوله (صلى الله عليه وسلم): ((إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي)) [٢٢] .

صفة اليد

عن أبي هريرة أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: ((والذي نفسي بيده، لقد هممت أن آمر بحطب فيحطب، ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها، ثم آمر رجلا فيؤم الناس، ثم

---

(١٨) فتح الباري ٥٠٨/١ .

(١٩) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الصلاة، حديث رقم ٤٠٦ .

(٢٠) طه، الآية ٥٩ .

(٢١) هي: الأعراف، الآية ٥٤، ويونس، الآية ٣، والرعد، الآية ٢، والفرقان، الآية ٤، والحديد، الآية ٤ .

(٢٢) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، حديث رقم ٧٤١١ .

أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم، والذي نفسي بيده لو يعلم أحدهم أنه يجد عرقا سمينا، أو مرماتين حسنتين لشهد العشاء)) [٢٣].

قال ابن حجر في شرح هذا الحديث: ((قوله "والذي نفسي بيده" هو قسم كان النبي (صلى الله عليه وسلم) كثيراً ما يقسم به، والمعنى أن أمر نفوس العباد بيد الله، أي بتقديره وتدبيره)) [٢٤].

وفي حديث بعث معاذ إلى اليمن الذي جاء فيه ((فإن هم أطاعوا لك بذلك))[٢٥] قال ابن حجر في شرح هذه الفقرة: قال حذاق المتكلمين ما عرف الله من شبهه بخلقه أو أضاف إليه اليد أو أضاف إليه الولد[٢٦].

نبه الشيخ (رحمه الله) على دلالة الحديث الأول في إثبات صفة اليد لله فقال: ((وذلك لأنه سبحانه مالكها والمتصرف فيها، وفي ذلك من الفوائد مع ما ذكر إثبات اليد لله سبحانه على الوجه الذي يليق به، كالقول في سائر الصفات، وهو سبحانه منزه عن مشابهة المخلوقات في كل شيء موصوف بصفات الكمال اللائق به، فتنبه)) .

وفي تعليق الشيخ على التأويل في حديث قصة بعث معاذ قال: ((لا شك أن من شبه الله بخلقه أو أضاف إليه الولد جاهل به سبحانه، ولم يقدره حق قدره؛ لأنه سبحانه لا شبيه له، ولم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وأما إضافة اليد إليه سبحانه فمحل تفصيل، فمن أضافها إليه سبحانه على أنها من جنس أيدي المخلوقين فهو مشبه ضال، وأما من أضافها إليه على الوجه الذي يليق بجلاله من غير أن يشابه خلقه في ذلك فهذا حق، وإثباتها لله على هذا الوجه واجب، كما نطق به القرآن الكريم وصحت به السنة، وهو مذهب أهل السنة، فتنبه والله الموفق)) .

---

(٢٣) كتاب الأذان، حديث رقم ٦٤٤ .

(٢٤) فتح الباري ١٢٩/٢ .

(٢٥) انظر تمام الحديث من كتاب الزكاة برقم ١٤٩٦ .

(٢٦) فتح الباري ٣٥٩/٣ .

صفة الغيرة

في قصة صلاة الكسوف التي جاء فيها قوله (صلى الله عليه وسلم): ((والله ما من أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته))[٢٧] . قال ابن حجر في شرحه: ((قوله (أغير) أفعل تفضيل من الغيرة بفتح الغين المعجمة، وهي في اللغة تغير يحصل من الحمية والأنفة، وأصلها في الزوجين والأهلين، وكل ذلك محال على الله تعالى. لأنه منزه عن كل تغير ونقص فيتعين حمله على المجاز))[٢٨].

قال الشيخ ابن باز (رحمه الله): ((المحال عليه سبحانه وتعالى وصفه بالغيرة المشابهة لغيرة المخلوق، وأما الغيرة اللائقة بجلاله سبحانه وتعالى فلا يستحيل وصفه بها، كما دل عليه هذا الحديث، وما جاء في معناه فهو سبحانه يوصف بالغيرة عند أهل السنة على وجه لا يماثل فيه صفة المخلوقين، ولا يعلم كنهها وكيفيتها إلا هو سبحانه، كالقول في الاستواء والنزول والرضا والغضب وغير ذلك من صفاته سبحانه، والله أعلم)).

صفة العلو

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: ((ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له))[٢٩] .

قال ابن حجر: ((قوله: "ينزل ربنا إلى السماء الدنيا" استدل به من أثبت الجهة وقال هي جهة العلو وأنكر ذلك الجمهور، لأن القول بذلك يفضي إلى التحيز تعالى الله عن ذلك))[٣٠].

قال الشيخ ابن باز (رحمه الله): ((مراده بالجمهور أهل الكلام، وأما أهل السنة وهم الصحابة (رضي الله عنهم) ومن تبعهم بإحسان فإنهم يثبتون لله الجهة، وهي جهة العلو،

---

(٢٧) كتاب الكسوف، حديث رقم ١٠٤٤ .

(٢٨) فتح الباري ٥٣١/٢ .

(٢٩) كتاب التهجد، حديث رقم ١١٤٥ .

(٣٠) فتح الباري ٣٠/٣ .

ويؤمنون بأنه سبحانه فوق العرش بلا تمثيل ولاتكييف، والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة أكثر من أن تحصر، فتنبه واحذر والله أعلم)) .

صفة النزول

وفي شرح الحديث السابق أيضاً ذكر ابن حجر (رحمه الله) اختلاف الناس في إثبات النزول، وذكر أن منهم من حمله على ظاهره وحقيقته، ومنهم من أنكر صحة الأحاديث الواردة في ذلك جملة، ومنهم من أجراه على ما ورد مؤمنا به على طريق الإجمال مترهاً الله تعالى عن الكيفية والتشبيه. ثم قال بعد ذلك: ((وقال ابن العربي: حكى عن المبتدعة رد هذه الأحاديث، وعن السلف إمرارها، وعن قوم تأويلها وبه أقول. فأما قوله ينزل فهو راجع إلى أفعاله لا إلى ذاته بل ذلك عبارة عن ملكه الذي ينزل بأمره ونهيه والنزول كما يكون في الأجسام، يكون في المعاني، فإن حملته في الحديث على الحسي فتلك صفة الملك المبعوث بذلك، وإن حملته على المعنوي بمعنى أنه لم يفعل ثم فعل فيسمى ذلك نزولا عن مرتبة إلى مرتبة فهي عربية صحيحة انتهى. والحاصل أنه تأوله بوجهين إما بان المعنى ينزل أمره أو الملك بأمره، وإما بأنه استعاره بمعنى التلطف بالداعين والإجابة لهم ونحوه)) .

ثم بعد ذلك ساق كلاماً للبيضاوي فقال: ((وقال البيضاوي ولما ثبت بالقواطع أنه سبحانه منزه عن الجسمية والتحيز، امتنع عليه النزول على معنى الانتقال من موضع إلى موضع أخفض منه، فالمراد نور رحمته، أي ينتقل من مقتضى صفة الجلال التي تقتضي الغضب والانتقام إلى مقتضى صفة الإكرام التي تقتضي الرأفة والرحمة)) [٣١]

قال الشيخ ابن باز (رحمه الله): ((هذا خطأ ظاهر مصادم لصريح النصوص الواردة بإثبات النزول، وهكذا ما قاله البيضاوي بعده باطل، والصواب ما قاله السلف الصالح من الإيمان بالنزول وإمرار النصوص كما وردت من إثبات النزول لله سبحانه على الوجه الذي يليق به، من غير تكييف ولا تمثيل، كسائر صفاته، وهذا هو الطريق الأسلم والأقوم والأعلم والأحكم، فتمسك به وعض عليه بالنواجذ، واحذر ما خالفه تفز بالسلامة والله أعلم)).

---

(٣١) فتح الباري ٣/٣٠ .

صفة اليمين

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب -ولا يقبل الله إلا الطيب- فإن الله يتقبلها بيمينه » الحديث[٣٢].

نقل ابن حجر في شرحه لهذا الحديث تأويلات كثيرة لصفة اليمين فقال: «قال المازري هذا الحديث وشبهه إنما عبر به على ما اعتادوا في خطابهم ليفهموا عنه، فكنى عن قبول الصدقة باليمين، وعن تضعيف أجرها بالتربية، وقال عياض، لما كان الشيء الذي يرتضى يتلقى باليمين ويؤخذ بها استعمل في مثل هذا، واستعير للقبول لقول القائل: تلقاها عرابة باليمين أي هو مؤهل للمجد والشرف، وليس المراد بها الجارحة. وقيل عبر باليمين عن جهة القبول، إذ الشمال بضده. وقيل المراد يمين الذي تدفع إليه الصدقة، وأضافها إلى الله تعالى إضافة ملك واختصاص، لوضع هذه الصدقة في يمين الآخذ لله تعالى. وقيل: المراد سرعة القبول. وقيل: حسنه وقال الزين بن المنير: الكناية عن الرضا والقبول بالتلقي باليمين، لتثبيت المعاني المعقولة من الأذهان وتحقيقها في النفوس تحقيق المحسوسات، أي لا يتشكك في القبول كما لا يتشكك من عاين التلقي للشيء بيمينه، لا أن التناول كالتناول المعهود، ولا أن المتناول به جارحة»[٣٣].

وعلى هذه التأويلات علق الشيخ ابن باز (رحمه الله) قائلاً: «هذه التأويلات ليس لها وجه، والصواب إجراء الحديث على ظاهره، وليس في ذلك بحمد الله محذور عند أهل السنة والجماعة؛ لأن عقيدتهم الإيمان بما جاء في الكتاب والسنة الصحيحة من أسماء الله سبحانه وصفاته، وإثبات ذلك لله على وجه الكمال، مع تنزيهه تعالى عن مشابهة المخلوقات، وهذا هو الحق الذي لا يجوز العدول عنه. وفي هذا الحديث دلالة على إثبات اليمين لله، سبحانه وعلى أنه يقبل الصدقة عن الكسب الطيب ويضاعفها، وانظر ما يأتي من كلام الإمام الترمذي يتضح لك ما ذكرته آنفا والله الموفق» .

---

(٣٢) كتاب الزكاة، حديث رقم ١٤١٠ .

(٣٣) فتح الباري ٣/٢٨٠ .

وقول الترمذي الذي أشار إليه الشيخ نصه: «قال أهل العلم من أهل السنة والجماعة نؤمن بهذه الأحاديث ولا نتوهم فيها تشبيهاً ولا نقول كيف»[٣٤].

القول في (أوعى الله عليه)

عن أسماء (رضي الله عنها) قالت: قال لي النبي (صلى الله عليه وسلم): «لا توكي فيوكي عليك»، وفي رواية «لا تحصي فيحصي الله عليك»[٣٥]. في شرح ابن حجر لهذين الحديثين قال: «وسيأتي في الهبة[٣٦] عند المصنف من طريق ابن نمير عن هشام باللفظين لكن بعين مهملة بدل الكاف وهو بمعناه يقال أوعيت المتاع في الوعاء أوعيه إذا جعلته فيه ووعيت الشيء حفظته وإسناد (الوعي) إلى الله مجاز عن الإمساك»[٣٧].

قال الشيخ ابن باز: «هذا خطأ لا يليق بالشارح والصواب إثبات وصف الله بذلك حقيقة، على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى كسائر الصفات . وهو سبحانه يجازي العامل بمثل عمله، فمن مكر مكر به، ومن خادع خدعه، وهكذا من أوعى أوعى الله عليه، وهذا قول أهل السنة والجماعة، فالزمه تفز بالنجاة والسلامة . والله الموفق» .

---

(٣٤) فتح الباري ٣/٢٨٠ .

(٣٥) كتاب الزكاة، حديث رقم ١٤٣٣ .

(٣٦) حديث رقم ٢٥٩١ .

(٣٧) فتح الباري ٣/٣٠٠ .

المبحث الثاني

التبرك بالصالحين وآثارهم

هذه المسألة من أكثر المسائل التي وردت عليها تعليقات الشيخ، وقد ذكرها ابن حجر في شرحه في مواضع مختلفة مجيزاً لها، وقد علق على ذلك الشيخ كثيراً مانعاً لها ومحذراً منها، ومبيناً أنها من خصائص النبي (صلى الله عليه وسلم) . ومما ورد فيها من الأقوال والتعليقات ما يلي:-

الأول

عن أم قيس بنت محصن أنها أتت بابن لها صغير لم يأكل الطعام إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأجلسه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في حجره فبال على ثوبه، فدعا بماء فنضحه، و لم يغسله.

قال ابن حجر: ((وفي هذا الحديث من الفوائد الندب إلى حسن المعاشرة، والتواضع، والرفق بالصغار، وتحنيك المولود، والتبرك بأهل الفضل))[٣٨].

الثاني

وفي حديث عتبان بن مالك عندما طلب من الرسول (صلى الله عليه وسلم) أن يأتي مترله ليتخذه مصلى في حال عذره[٣٩] . ذكر ابن حجر من فوائده قوله: ((ويستفاد منه أن من دعي من الصالحين ليتبرك به أنه يجيب إذا أمن الفتنة))[٤٠].

الثالث

وقال أيضاً في فوائد الحديث المذكور: ((وفيه اجتماع أهل المحلة على الإمام أو العالم إذا ورد مترل بعضهم ليستفيدوا منه ويتبركوا به))[٤١] .

---

(٣٨) فتح الباري ٣٢٧/١ .

(٣٩) كتاب الصلاة، حديث رقم ٤٢٥ .

(٤٠) فتح الباري ٥٢٢/١ .

(٤١) فتح الباري ٥٢٣/١ .

الرابع

وقال في موضع آخر: ((وقد تقدم حديث عتبان وسؤاله النبي (صلى الله عليه وسلم) أن يصلي في بيته ليتخذه مصلى، وأجابه النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى ذلك، فهو حجة في التبرك بآثار الصالحين)) [٤٢].

الخامس

وفي شرح حديث عن عون بن أبي جحيفة قال سمعت أبي ((أن النبي (صلى الله عليه وسلم) صلى بهم بالبطحاء وبين يديه عترة، الظهر ركعتين، والعصر ركعتين، تمر بين يديه المرأة والحمار))[٤٣]. قال ابن حجر في سياق فوائد هذا الحديث: ((وفي الحديث من الفوائد التماس البركة مما لامسه الصالحون)) [٤٤].

وهذه الفائدة غير ظاهرة من سياق الحديث، ولكن الشارح استنبطها من روايات أخرى ساقها للحديث في شرحه[٤٥] .

السادس

وفي شرح أحاديث "باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في أكفانه" ومنها دخول أبي بكر على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بعد موته . قال ابن حجر في سياق فوائد الأحاديث: ((وفي هذه الأحاديث جواز تقبيل الميت تعظيما وتبركا))[٤٦].

السابع

وفي حديث أم عطية في غسل فاطمة (رضي الله عنها) الذي جاء فيه: ((فإذا فرغتن فآذنني، فلما فرغنا آذناه، فأعطانا حقوه، فقال أشعرنها إياه، تعني إزاره))[٤٧] . قال ابن

---

(٤٢) فتح الباري ٥٦٩/١ .

(٤٣) كتاب الصلاة، حديث رقم ٤٩٥ .

(٤٤) فتح الباري ٥٧٤/١ .

(٤٥) انظر فتح الباري ٥٧٤/١ .

(٤٦) فتح الباري ١١٥/٣ .

(٤٧) كتاب الجنائز، حديث رقم ١٢٥٣ .

حجر: ((قيل الحكمة في تأخير الإزار معه إلى أن يفرغن من الغسل و لم يناولهن إياه أولاً ليكون قريب العهد من جسده الكريم، حتى لا يكون بين انتقاله من جسده إلى جسدها فاصل، وهو أصل في التبرك بآثار الصالحين))[٤٨] .

الثامن

وفي قصة وفاة عبد الله بن أبي وطلب ابنه من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قميصه ليكفن فيه، وأن يصلي عليه[٤٩]، ساق ابن حجر قول أبي القاسم ابن أبي الورد قال: ((والذي يظهر لي أن البخاري لحظ قوله تعالى ﴿استغفر لهم أولا تستغفر لهم﴾ أي أن النبي (صلى الله عليه وسلم) ألبس عبد الله بن أبي قميصه، سواء كان يكف عنه العذاب، أو لا يكف، استصلاحاً للقلوب المؤلفة، فكأنه يقول يؤخذ من هذا التبرك بآثار الصالحين)) .

التاسع

وفي حديث سهل بن سعد (رضي الله عنه) في قصة الرجل الذي سأل النبي (صلى الله عليه وسلم) بردته فاستنكر عليه الصحابة ذلك فقال: ((إني والله ما سألته لألبسها إنما سألته لتكون كفني. قال سهل فكانت كفنه)) [٥٠].

قال ابن حجر في سياق فوائد الحديث: ((وفيه التبرك بآثار الصالحين)) [٥١].

العاشر

عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: ((دخلت على أبي بكر (رضي الله عنه) فقال: في كم كفنتم النبي (صلى الله عليه وسلم) قالت: في ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة. وقال لها: في أي يوم توفي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ؟ قالت في

---

(٤٨) فتح الباري ١٢٩/٣، ١٣٠.

(٤٩) انظر القصة في كتاب الجنائز، حديث رقم ١٢٧٠ .

(٥٠) كتاب الجنائز، حديث رقم ١٢٧٧ .

(٥١) فتح الباري ١٤٤/٣ .

يوم الإثنين . قال أرجو فيما بيني وبين الليل)) الحديث[٥٢] . قال ابن حجر: ((وفي هذا الحديث استحباب التكفين في الثياب البيض وتثليث الكفن وطلب الموافقة فيما وقع للأكابر تبركاً بذلك)) [٥٣].

الحادي عشر

عن أنس بن مالك رضي الله عنه) قال: ((غدوت إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بعبد الله بن أبي طلحة ليحنكه فوافيته في يده الميسم يسم إبل الصدقة))[٥٤] .

قال ابن حجر في سياق فوائد الحديث: ((وفيه قصد أهل الفضل لتحنيك المولود لأجل البركة)) [٥٥].

ولقد علق الشيخ عبد العزيزبن باز (رحمه الله) على أقوال ابن حجر في هذه المسألة بتعليقات متقاربة حاصلها، أن التبرك بالصالحين وآثارهم غير جائز، وإنما يجوز ذلك بالنبي (صلى الله عليه وسلم) خاصة لما جعل الله في جسده وما ماسه من البركة، وأما غيره فلا يقاس عليه، لوجهين: أحدهما: أن الصحابة (رضي الله عنهم) لم يفعلوا ذلك مع غير النبي (صلى الله عليه وسلم)، وهم أعلم الناس بالشرع، فوجب التأسي بهم، ولو كان خيراً لسبقونا إليه. الثاني: أن فعل ذلك مع غيره (صلى الله عليه وسلم) من وسائل الشرك فوجب منعه، سداً لذريعة الشرك والله أعلم .

وقد استدل الشيخ بما ورد عن عمر (رضي الله عنه)في هذه المسالة، منبهاً إلى ما ورد عن ابن عمر خلافه فقال: ((والحق أن عمر (رضي الله عنه) أراد بالنهي عن تتبع آثار الأنبياء سد الذريعة إلى الشرك، وهو أعلم بهذا الشأن من ابنه (رضي الله عنهما) وقد أخذ الجمهور بما رآه عمر، وليس في قصة عتبان ما يخالف ذلك؛ لأنه في حديث عتبان قد قصد أن يتأسى به (صلى الله عليه وسلم) في ذلك بخلاف آثاره في الطرق ونحوها، فإن التأسي

---

(٥٢) كتاب الجنائز، حديث رقم ١٣٨٧ .

(٥٣) فتح الباري ٢٥٤/٣ .

(٥٤) كتاب الزكاة، حديث رقم ١٥٠٢ .

(٥٥) فتح الباري ٣٦٧/٣ .

به فيها وتتبعها لذلك غير مشروع كما دل عليه فعل عمر، وربما أفضى ذلك بمن فعله إلى الغلو والشرك كما فعل أهل الكتاب والله أعلم)) .

والقول الذي علق عليه الشيخ كان ابن حجر قد ذكره في شرحه للأحاديث التي ساقها البخاري في تبرك ابن عمر بآثار النبي (صلى الله عليه وسلم)[٥٦]، وما أشار إليه الشيخ من فعل عمر ذكره الشارح بقوله: ((ومحصل ذلك أن ابن عمر كان يتبرك بتلك الأماكن، وتشدده في الاتباع مشهور، ولا يعارض ذلك ما ثبت عن أبيه أنه رأى الناس في سفر يتبادرون إلى مكان، فسأل عن ذلك، فقالوا: قد صلى فيه النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال: من عرضت له الصلاة فليصل وإلا فليمض،فإنما هلك أهل الكتاب لأنهم تتبعوا آثار أنبيائهم فاتخذوها كنائس وبيعاً))[٥٧] .

وفي مسائل أخرى متعلقة بالتبرك أجاز ابن حجر اتخاذ مسجد في جوار صالح، مستدلاً بحديث عائشة (رضي الله عنه) أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير فذكرتا للنبي (صلى الله عليه وسلم) فقال: ((إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور، فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة))[٥٨] .

قال ابن حجر شرحه لهذا الحديث: ((وقال البيضاوي لما كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور الأنبياء تعظيماً لشأنهم، ويجعلونها قبلة يتوجهون في الصلاة نحوها، واتخذوها أوثاناً، لعنهم ومنع المسلمين عن مثل ذلك، فأما من أتخذ مسجداً في جوار صالح وقصد التبرك بالقرب منه، لا التعظيم له، ولا التوجه نحوه، فلا يدخل في ذلك الوعيد))[٥٩].

قال الشيخ ابن باز (رحمه الله): ((هذا غلط، والصواب تحريم ذلك ودخوله تحت الأحاديث الناهية عن اتخاذ القبور مساجد، فانتبه واحذر والله الموفق)).

---

(٥٦) كتاب الصلاة، الأحاديث رقم ٤٨٣-٤٩٢ .

(٥٧) فتح الباري ٥٦٩/١ .

(٥٨) كتاب الصلاة، حديث رقم ٤٢٧ .

(٥٩) فتح الباري ٥٢٥/١ .

وفي شرح "باب من لم يستلم إلا الركنين" قال ابن حجر في حديثه عن حكم تقبيل الحجر الأسود: ((ونقل عن ابن أبي الصيف اليماني أحد علماء مكة من الشافعية جواز تقبيل المصحف وأجزاء الحديث وقبور الصالحين))[٦٠] .

قال الشيخ ابن باز (رحمه الله): ((الأحكام التي تنسب إلى الدين لا بد من ثبوتها في نصوص الدين، وكل ما لم يكن عليه الأمر في زمن التشريع وفي نصوص التشريع فهو مردود على من يزعمه، وتقدم قول الإمام الشافعي ولكنا نتبع السنة، فعلاً أو تركاً وهو مقتضى قول أمير المؤمنين عمر، فيما خاطب به الحجر الأسود برقم ١٥٩٧ و ١٦١٠ هذه النصوص، وسيأتي قول الحافظ عن ابن عمر في جوابه لمن سأله عن استلام الحجر، أمره إذا سمع الحديث أن يأخذ به، ويتقي الرأي[٦١]، والخروج عن هذه الطريقة تغيير الدين وخروج به إلى غير ما أراده الله وبالله التوفيق)) .

وكلام الشافعي الذي أشار إليه الشيخ ساقه الشارح بقوله: ((وأجاب الشافعي عن قول من قال : ليس شيء من البيت مهجوراً. بأنا لم ندع استلامهما هجراً للبيت، وكيف يهجره وهو يطوف به، ولكنا نتبع السنة فعلاً أو تركاً))[٦٢] .

والأحاديث التي أشار الشيخ إلى أرقامها عند البخاري أولها أن عمر (رضي الله عنه) جاء إلى الحجر فقبله ثم قال ((إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك)) . والثاني أن عمر قبل الحجر فقال:((لولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبلتك)) .

---

(٦٠) فتح الباري ٣/٤٧٥ .

(٦١) انظر: فتح الباري ٣/٤٧٦،٤٧٥ .

(٦٢) فتح الباري ٣/٤٧٥ ، ٤٧٦ .

المبحث الثالث

مسائل متفرقة في العقيدة

أول واجب على المكلف

بوب البخاري "باب قول النبي (صلى الله عليه وسلم) ((أنا أعلمكم بالله))..."[٦٣]
وفي شرح ابن حجر لهذا الباب ذكر فائدة فقال: ((قال إمام الحرمين: أجمع العلماء على وجوب معرفة الله تعالى واختلفوا في أول واجب، فقيل المعرفة، وقيل النظر))[٦٤] .

وقد نبه الشيخ ابن باز (رحمه الله) على هذه المسألة بقوله: ((الصواب ما ذكره المحققون من أهل العلم، أن أول واجب هو شهادة أن لا إله إلا الله، علماً وعملاً وهي أول شيء دعا إليه الرسل، وسيدهم وإمامهم نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم). أول شيء دعا إليه أن قال لقومه: ((قولوا لا إله إلا الله تفلحوا))[٦٥]. ولما بعث معاذاً إلى اليمن قال ((فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله))[٦٦] ؛ ولأن التوحيد شرط لصحة جميع العبادات كما يدل عليه قوله تعالى:﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾))[٦٧].

دخول الجنة

وفي تبويب البخاري: "باب من قال إن الإيمان هو العمل، لقوله تعالى ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [٦٨]..."

---

(٦٣) الجامع الصحيح، كتاب الإيمان ٢٣/١ .

(٦٤) فتح الباري ٧٠/١ .

(٦٥) أخرجه الإمام احمد في المسند من حديث ربيعة بن عباد الديلي، ٤٩٢/٣ .

(٦٦) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، حديث رقم ١٤٥٨ .

(٦٧) الأنعام، الآية ٨٨ .

(٦٨) الزخرف، الآية ٧٢ .

قال ابن حجر: ((و(ما) في قوله (بما) إما مصدرية أي بعملكم، وإما موصولة، أي بالـــذي كنتم تعملون . والباء للملابسة أو للمقابلة)) [٦٩].

قال الشيخ ابن باز(رحمه الله): ((والصواب أن الباء هنا للسببية، بخلاف البـــاء في حديث: "لن يدخل الجنة أحد منكم بعمله"[٧٠] فإنها للعوض والمقابلة)).

التحسين والتقبيح العقلي

قال ابن حجر في سياق الفوائد المستنبطة من قصة موسى والخضر: ((وأن العقل لا يحسن ولا يقبح)) [٧١].

قال الشيخ ابن باز (رحمه الله): ((هذا هو قول بعض أهل السنة، وذهـــب بعـــض المحققين منهم إلى أن العقل يحسن ويقبح، لما فطر الله عليه العباد من معرفة الحسن والقبيح، وقد جاءت الشرائع الإلهية تأمر بالحسن وتنهى عن القبيح، ولكـــن لا يترتـــب الثـــواب والعقاب على ذلك إلا بعد بلوغ الشرع، كما حقق ذلك العلامة ابن القيم (رحمه الله) في مفتاح دار السعادة[٧٢] وهذا هو الصواب والله أعلم)).

اختيار العبد

وفي شرح حديث معاذ الذي جاء فيه: ((ما من أحد يشهد أن لا إلـــه إلا الله، وأن محمدا رسول الله، صدقا من قلبه، إلا حرمه الله على النار. قال: يا رسول الله أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟ قال: إذا يتكلوا. وأخبر بها معاذ عند موته تأثما قال))[٧٣] قال ابن حجر:

---

(٦٩) فتح الباري ٧٨/١ .

(٧٠) أخرجه البخاري بلفظ ((لن يدخل أحدا عمله الجنة ...)) كتاب المرضى، حديث رقم ٥٦٧٣ . ومســـلم بلفظ ((لن ينجو أحد منكم بعمله ...)) كتاب صفة القيامة والجنة والنار، حديث رقم ٢٨١٦ .

(٧١) فتح الباري ٢٢١/١ .

(٧٢) انظر مفتاح دار السعادة ٣٧/٢ وما بعدها .

(٧٣) كتاب العلم، حيث رقم ١٢٨ .

((واستدل بعض متكلمي الأشاعرة من قوله (يتكلوا) على أن للعبد اختياراً كما سبق في علم الله)) [٧٤].

وقد علق الشيخ ابن باز (رحمه الله) على هذا قائلاً: ((هذا الذي عده الشارح لبعض متكلمي الأشاعرة هو قول أهل السنة، وهو أن للعبد اختياراً وفعلاً ومشيئة، لكن ذلك إنما يقع بعد مشيئة الله، كما قال تعالى: ﴿ لمن شاء منكم أن يستقيم. وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾ [٧٥]فتنبه)) .

الجريد على القبور

عن ابن عباس قال: ((مر النبي صلى الله عليه وسلم بحائط من حيطان المدينة أو مكة، فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يعذبان، وما يعذبان في كبير. ثم قال: بلى، كان أحدهما لا يستتر من بوله، وكان الآخر يمشي بالنميمة، ثم دعا بجريدة فكسرها كسرتين، فوضع على كل قبر منهما كسرة، فقيل له: يا رسول الله، لم فعلت هذا؟ قال: لعله أن يخفف عنهما ما لم تيبسا، أو إلى أن ييبسا))[٧٦] .

ذكر ابن حجر في شرحه جواز فعل ذلك من غير الرسول (صلى الله عليه وسلم) واستدل بفعل بريدة (رضي الله عنه) حيث قال: ((وقد تأسى بريدة بن الحصيب الصحابي بذلك فأوصى أن يوضع على قبره جريدتان كما سيأتي في الجنائز من هذا الكتاب وهو أولى أن يتبع من غيره)) [٧٧].

وفعل بريدة هذا قد ذكره البخاري في كتاب الجنائز معلقاً حيث قال: ((وأوصى بريدة الأسلمي أن يجعل في قبره جريدتان))[٧٨] .

---

(٧٤)فتح الباري ١/٢٢٧ .

(٧٥) التكوير، الآيتان ٢٨،٢٩ .

(٧٦) كتاب الوضوء، حديث رقم ٢١٦ .

(٧٧) فتح الباري ١/٣٢٠ .

(٧٨) كتاب الجنائز، باب الجريد على القبر ١/٤١٨ .

وفي وضع الجريد على القبر قال الشيخ ابن باز (رحمه الله): «الصواب في هذه المسألة ما قاله الخطابي من استنكار الجريد ونحوه على القبور؛ لأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) لم يفعله إلا في قبور مخصوصة، اطلع على تعذيب أهلها، ولو كان مشروعاً لفعله في كل القبور، وكبار الصحابة كالخلفاء لم يفعلوه، وهم أعلم بالسنة، من بريدة رضي الله عن الجميع، فتنبه».

وقول الخطابي الذي أشار إليه الشيخ ساقه ابن حجر بقوله: «وقد استنكر الخطابي ومن تبعه وضع الناس الجريد ونحوه في القبر عملاً بهذا الحديث» [٧٩].

عموم رسالة نوح

عن جابر بن عبد الله أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة» [٨٠].

في شرح ابن حجر لهذا الحديث ذكر الخلاف في عموم رسالة نوح عليه السلام، ثم ذكر الجمع بين من قال بعموم رسالة نوح وبين ما ورد في الحديث، ومن ذلك قوله: «ووجهه ابن دقيق العيد بأن توحيد الله تعالى يجوز أن يكون عاماً في حق بعض الأنبياء، وإن كان التزام فروع شريعته ليس عاماً؛ لأن منهم من قاتل غير قومه على الشرك، ولو لم يكن التوحيد لازماً لهم لم يقاتلهم. ويحتمل أنه لم يكن في الأرض عند إرسال نوح إلا قوم نوح، فبعثته خاصة لكونها إلى قومه فقط، وهي عامة في الصورة لعدم وجود غيرهم لكن لو اتفق وجود غيرهم لم يكن مبعوثا إليهم» [٨١].

---

(٧٩) فتح الباري ٣٢٠/١ . وانظر النووي، شرح صحيح مسلم ٢٠٢/٣ .

(٨٠) كتاب التيمم، حديث رقم ٣٣٥ .

(٨١) فتح الباري ٤٣٧/١ .

ورجح الشيخ الاحتمال الأخير قائلاً: ((هذا الاحتمال الأخير أظهر مما قبله، لقوله تعالى ﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ﴾[٨٢] وقوله تعالى ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً﴾[٨٣])) .

رؤية النبي (صلى الله عليه وسلم) لربه ليلة الإسراء

وفي سياق البخاري (رحمه الله) لفرض الصلاة في قصة الإسراء[٨٤] قال ابن حجر في شرحه لها: ((وأبدى بعض الشيوخ حكمة لاختيار موسى تكرير ترداد النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال: لما كان موسى قد سأل الرؤية فمنع[٨٥] وعرف أنها حصلت لمحمد (صلى الله عليه وسلم) قصد بتكرير رجوعه تكرير رؤيته؛ ليرى من رأى، كما قيل لعلي: أراهم أو أرى من رآهم))[٨٦].

قال الشيخ ابن باز (رحمه الله) معلقاً على هذه الحكمة: ((هذه الحكمة التي أبدها بعض الشيوخ ليست بشيء، والتحقيق أن النبي (صلى الله عليه وسلم) لم ير ربه، لقوله (صلى الله عليه وسلم) في حديث أبي ذر لما سأله عن ذلك: "رأيت نوراً"[٨٧] وفي رواية "نور أني أراه"[٨٨] والظاهر من السياق أن الذي حمل موسى (عليه السلام) ما ذكر من طلب تكرار المراجعة هو رحمة أمة محمد والشفقة عليهم فجزاه الله خيراً، والله أعلم)) .

---

(٨٢) هود، الآية ٣٦ .

(٨٣) نوح، الآية ٢٦ .

(٨٤) الجامع الصحيح، كتاب الصلاة، حديث رقم ٣٤٩ .

(٨٥) إشارة إلى تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾ الأعراف، الآية ١٤٣ .

(٨٦) فتح الباري ٤٦٣ .

(٨٧) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، حديث رقم ١٧٨ .

(٨٨) أخرجه مسلم أيضاً، كتاب الإيمان، حديث رقم ١٧٨ .

القول في حياة الخضر

عن عبد الله بن عمر قال صلى النبي (صلى الله عليه وسلم) صلاة العشاء في آخر حياته، فلما سلم قام النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال: « أرأيتكم ليلتكم هذه فإن رأس مائة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد ...» الحديث[٨٩].

قال ابن حجر في شرحه للحديث: «وخروج عيسى والخضر لأنهما ليسا من أمته فهو قول ضعيف؛ لأن عيسى يحكم بشريعته فيكون من أمته والقول في الخضر إن كان حياً كالقول في عيسى والله أعلم»[٩٠].وهذا القول معناه أن عيسى والخضر لا يشملهما الحديث.

قال الشيخ ابن باز معلقاً على القول بحياة الخضر: «الذي عليه أهل التحقيق أن الخضر قد مات قبل بعثة النبي (صلى الله عليه وسلم) لأدلة كثيرة معروفة في محلها، ولو كان حياً في حياة النبي (صلى الله عليه وسلم) لدخل في هذا الحديث وكان ممن أتى عليه الموت قبل رأس المائة، كما أشار إليه الشارح هنا . فتنبه والله أعلم».

تكفير الذنوب

عن سلمان الفارسي قال قال النبي (صلى الله عليه وسلم): «لا يغتسل رجل يوم الجمعة، ويتطهر ما استطاع من طهر، ويدهن من دهنه، أو يمس من طيب بيته، ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين، ثم يصلي ما كتب له، ثم ينصت إذا تكلم الإمام، إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى» [٩١].

تحدث الحافظ ابن حجر في شرح هذا الحديث عن تكفير الصغائر وأشار إلى حديث «ما لم تغش الكبائر»[٩٢] ثم قال: «معنى قوله ما لم تغش الكبائر أي فإنها إذا غشيت لا تكفر وليس المراد أن تكفير الصغائر شرطه اجتناب الكبائر»[٩٣].

---

(٨٩) كتاب مواقيت الصلاة، حديث رقم ٦٠١ .

(٩٠) فتح الباري ٢/٧٥ .

(٩١) كتاب الجمعة، حديث رقم ٨٨٣ .

(٩٢) أخرجه مسلم، كتاب الطهارة، حديث رقم ٢٣٣ .

وعلق على ذلك الشيخ ابن باز (رحمه الله) قائلاً: «هذا فيه نظر، وظاهر الحديث المذكور أن اجتناب الكبائر شرط لتكفير الصغائر، ويدل عليه ما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً "الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر"[٩٤] والله أعلم» .

الاستسقاء بالرسول (صلى الله عليه وسلم) بعد موته

بوب البخاري "باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا" وذكر تحته عدة أحاديث، وفي شرح ابن حجر لهذا الباب ذكر ما يدل على جواز الاستسقاء برسول الله (صلى الله عليه وسلم) بعد موته فقال: «وروى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح من رواية أبي صالح السمان عن مالك الداري وكان خازن عمر قال: "أصاب الناس قحط في زمن عمر، فجاء رجل إلى قبر النبي (صلى الله عليه وسلم)، فقال يا رسول الله، استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا. فأتى الرجل في المنام، فقيل: له ائت عمر" الحديث وقد روى سيف في الفتوح أن الذي رأى المنام المذكور هو بلال بن الحارث المزني أحد الصحابة، وظهر بهذا كله مناسبة الترجمة لأصل هذه القصة أيضا والله الموفق»[٩٥].

وعلق الشيخ ابن باز (رحمه الله) على هذا الأثر فقال: «هذا الأثر على فرض صحته -كما قال الشارح- ليس بحجة على جواز الاستسقاء بالنبي (صلى الله عليه وسلم) بعد وفاته؛ لأن السائل مجهول، ولأن عمل الصحابة (رضي الله عنهم) على خلافه، وهم أعلم الناس و لم يأت أحد منهم إلى قبره يسأله السقيا ولا غيرها، بل عدل عمر عنه لما وقع في الجدب إلى الاستسقاء بالعباس، و لم ينكر ذلك عليه أحد من الصحابة فعلم أن ذلك هو الحق، وأن ما فعله هذا الرجل منكر ووسيلة إلى الشرك، بل قد جعله بعض أهل العلم من أنواع الشرك. وأما تسمية السائل في رواية سيف المذكورة بلالا بن الحارث ففي صحة

---

(٩٣) فتح الباري ٢/٣٧٢ .

(٩٤) هو المشار إليه في كلام ابن حجر، وهو عنوان الباب عند مسلم، ولفظ الحديث ((إذا اجتنبت الكبائر)) .

(٩٥) فتح الباري ٢/٤٩٥

ذلك نظر، لم يذكر الشارح سند سيف في ذلك وعلى تقدير صحته عنه لا حجة فيه؛ لأن عمل كبار الصحابة يخالفه، وهم أعلم بالرسول الله (صلى الله عليه وسلم) وشريعته من غيرهم والله أعلم)).

التفويض في الحاجات

وفي شرح ابن حجر لقصة استسقاء الرسول (صلى الله عليه وسلم) يوم الجمعة[٩٦] ذكر من فوائد الحديث: ((أن الدعاء برفع الضرر لا ينافي التوكل، وإن كان مقام الأفضل التفويض، لأنه (صلى الله عليه وسلم) كان عالماً بما وقع لهم من الجدب، وأخر السؤال في ذلك تفويضاً لربه، ثم أجابهم إلى الدعاء لما سألوه في ذلك، بياناً للجواز وتقرير السنة في هذه العبادة الخاصة))[٩٧].

قال الشيخ ابن باز (رحمه الله): ((في هذا نظر والصواب أن الأخذ بالأسباب والبدار بالدعاء والاستغاثة عند الحاجة أولى وأفضل من التفويض، وسيرته (صلى الله عليه وسلم) وسيرة أصحابه (رضي الله عنهم) تدل على ذلك، ولعله إنما أخر الدعاء لأسباب اقتضت ذلك غير التفويض، فلما سأله هذا السائل بادر بإجابته، وذلك عن إذن الله سبحانه وتشريعه، لأنه (صلى الله عليه وسلم) لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، والله أعلم)) .

نسبة القول إلى الله

عن زيد بن خالد الجهني أنه قال: ((صلى لنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف النبي (صلى الله عليه وسلم) أقبل على الناس فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا الله ورسوله أعلم. قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب)) [٩٨].

---

(٩٦) انظر الحديث في كتاب الاستسقاء، برقم ١٠١٣ .

(٩٧) فتح الباري ٥٠٧/٢ .

(٩٨) كتاب الاستسقاء، حديث رقم ١٠٣٨ .

قال ابن حجر في سياق فوائد الحديث: ((ويستنبط منه أن للولي المتمكن من النظر في الإشارة أن يأخذ منها عبارات ينسبها إلى الله تعالى. كذا قرأت بخط بعض شيوخنا وكأنه أخذه من استنطاق النبي (صلى الله عليه وسلم) أصحابه عما قال ربهم، وحمل الاستفهام فيه على الحقيقة، لكنهم (رضي الله عنهم) فهموا خلاف ذلك ولهذا لم يجيبوا إلا بتفويض الأمر إلى الله ورسوله))[٩٩].

قال الشيخ ابن باز: ((هذا خطأ بين، وقول على الله بغير علم، فلا يجوز لمسلم أن يتعاطى ذلك، بل عليه أن يقول إذا سئل عما لا يعلم: الله أعلم، كما فعل الصحابة (رضي الله عنهم)، والله أعلم)) .

تفسير التوكل

وفي حيث دعاء النبي (صلى الله عليه وسلم) إذا قام للتهجد الذي جاء فيه: ((اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت))[١٠٠] . قال ابن حجر في شرحه: ((وعليك توكلت، أي فوضت الأمر إليك تاركا للنظر في الأسباب العاديه))[١٠١].

قال الشيخ ابن باز (رحمه الله): ((ليس هذا التفسير بجيد والصواب في تفسير التوكل عند أهل التحقيق: أنه الاعتماد على الله، والثقة والإيمان بأنه، مقدر الأشياء ومدبر الأمور كلها، مع النظر في الأسباب العادية، من العبد وقيامه بها، فالتوكل مركب من شيئين: أحدهما: الاعتماد على الله والثقة والتفويض إليه، لكونه قد علم الأشياء وقدرها، وله القدرة الشاملة والمشيئة النافذة. والثاني: النظر من العبد في الأسباب الدينية والدنيوية وقيامه بها والله أعلم)).

سبب دخول الجنة

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال لبلال عند صلاة الفجر: ((يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام، فإني سمعت دف نعليك بين يدي

---

(٩٩) فتح الباري ٥٢٢/٢ .

(١٠٠) كتاب التهجد، حديث رقم ١١٢٠ .

(١٠١) فتح الباري ٣ / ٤٠ .

في الجنة. قال: ما عملت عملاً أرجى عندي أني لم أتطهر طهوراً في ساعة ليل أو نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلي»[١٠٢] .

قال ابن حجر عند شرحه لهذا الحديث: «ولا معارضه بينه وبين قوله (صلى الله عليه وسلم) "لا يدخل أحدكم الجنة عمله"[١٠٣] لأن أحد الأجوبة المشهورة بالجمع بينه وبين قوله تعالى ﴿ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾ [١٠٤] أن أصل الدخول إنما يقع برحمة الله، واقتسام الدرجات بحسب الأعمال فيأتي مثله في هذا» [١٠٥].

قال الشيخ ابن باز (رحمه الله): «وأحسن من هذا الجواب أن الأعمال الصالحة هي سبب دخول الجنة، ودخولها يكون برحمة الله وفضله، لا بمجرد العمل كما في الحديث الصحيح أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "لن يدخل الجنة أحدكم منكم بعمله، قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل"[١٠٦] انتهى».

عدم التعذيب بعد قبول الحسنة

عن عبادة بن الصامت عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «من تعار من الليل، فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: اللهم اغفر لي أو دعا استجيب له، فإن توضأ وصلى قبلت صلاته»[١٠٧] .

---

(١٠٢) كتاب التهجد، حديث رقم ١١٤٩ .

(١٠٣) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، حديث رقم ٦٤٦٧ .

(١٠٤) النحل، الآية ٣٢ .

(١٠٥) فتح الباري ٣/٣٥ .

(١٠٦) أخرجه مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، حديث رقم ٢٧١٦، ولفظه ((لن ينجو أحد منكم بعمله ...)) .

(١٠٧) كتاب التهجد، حديث رقم ١١٥٤ .

في شرح ابن حجر لهذا الحديث قال: ((قال الداودي ما محصله من قبل الله له حسنة لم يعذبه))[١٠٨] .

قال الشيخ ابن باز (رحمه الله): ((فيما قاله الداودي نظر، وظاهر النصوص يخالفه ولا يلزم من قبول بعض الأعمال عدم التعذيب على أعمال أخرى من السيئات مات العبد مصراً عليها، فتنبه والله أعلم)) .

شد الرحال إلى المساجد

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: ((لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ومسجد الأقصى))[١٠٩].

وفي شرح ابن حجر لهذا الحديث تحدث عن الخلاف في حكم شد الرحال إلى غيرها من المساجد ثم قال بعد ذلك: ((والصحيح عند إمام الحرمين وغيره من الشافعية أنه لا يحرم، وأجابوا عن الحديث بأجوبة منها: أن المراد أن الفضيلة التامة إنما هي في شد الرحال إلى هذه المساجد بخلاف غيرها فإنه جائز، وقد وقع في رواية لأحمد سيأتي ذكرها بلفظ ((لا ينبغي للمطي أن تعمل))[١١٠] وهو لفظ ظاهر في غير التحريم))[١١١].

قال الشيخ ابن باز: ((ليس الأمر كما قال، بل هو ظاهر في التحريم والمنع، وهذه اللفظة [لا ينبغي] في عرف الشارع شأنها عظيم، كما في قوله تعالى ﴿ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ ولداً﴾ [١١٢] وقوله: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ [١١٣] الآية)) .

---

(١٠٨) فتح الباري ٣/٤٠ .

(١٠٩) كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، حديث رقم ١١٨٩ .

(١١٠) المسند، من حديث أبي سعيد الخدري، ٣/٦٤ . ولفظه ((لا ينبغي للمطي أن تشد رحاله ...)) .

(١١١) فتح الباري ٣/٦٥ .

(١١٢) مريم، الآية ٩٢ .

(١١٣) الفرقان، الآية ١٨ .

وفي شرح ابن حجر لحديث « كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يأتي قباء راكباً وماشياً»[١١٤] قال في سياقه لفوائد الحديث: «وفيه أن النهي عن شد الرحال لغير المساجد الثلاثة ليس على التحريم، لكون النبي (صلى الله عليه وسلم) كان يأتي مسجد قباء راكباً»[١١٥].

قال الشيخ ابن باز (رحمه الله): «هذا فيه نظر والصواب أنه للتحريم، كما هو الأصل في نهيه (صلى الله عليه وسلم)، والجواب عن حديث قباء أن المراد بشد الرحل في أحاديث النهي الكناية عن السفر، لا مجرد شد الرحل، وعليه فلا إشكال في ركوب النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى مسجد قباء، وقد سبق للشارح ما يرشد إلى هذا في كلامه على أحاديث النهي عن شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة فتنبه والله الموفق» .

شد الرحال إلى قبر الرسول (صلى الله عليه وسلم)

في شرح ابن حجر لحديث «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة ساجد» تحدث عن حكم شد الرحال إلى زيارة قبر الرسول (صلى الله عليه وسلم) فقال: «والحاصل أنهم ألزموا ابن تيميه بتحريم شد الرحل إلى زيارة قبر سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وأنكرنا صورة ذلك وفي شرح ذلك من الطرفين طول، وهي من ابشع المسائل المنقولة عن ابن تيمية، ومن جملة ما استدل به على دفع ما ادعاه غيره من الإجماع على مشروعية زيارة قبر النبي (صلى الله عليه وسلم) ما نقل عن مالك أنه كره أن يقول زرت قبر النبي (صلى الله عليه وسلم)، وقد أجاب عنه المحققون من أصحابه بأنه كره اللفظ أدباً، لا أصل الزيارة فإنها من أفضل الأعمال وأجل القربات الموصلة إلى ذي الجلال، وأن مشروعيتها محل إجماع بلا نزاع والله الهادي إلى الصواب»[١١٦].

قال الشيخ ابن باز (رحمه الله) مبيناً موقف ابن تيمية في هذه المسألة: «هذا اللازم لا بأس به وقد التزمه الشيخ، وليس في ذلك بشاعة بحمد الله عند من عرف السنة ومواردها

---

(١١٤) كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، حديث رقم ١١٩٤ .

(١١٥) فتح الباري ٣/٧٠،٦٩ .

(١١٦) فتح الباري ٣/٦٦ .

ومصادرها، والأحاديث المروية في فضل زيارة قبر النبي (صلى الله عليه وسلم) كلها ضعيفة بل موضوعة، كما حقق ذلك أبو العباس في منسكه وغيره، ولو صحت لم يكن فيها حجة على جواز شد الرحال إلى زيارة قبره (عليه الصلاة والسلام) من دون قصد المسجد، بل تكون عامة مطلقة، وأحاديث النهي عن شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة يخصها وبقيدها، والشيخ لم ينكر زيارة قبر النبي (صلى الله عليه وسلم) من دون شد الرحال، وإنما أنكر شد الرحل من أجلها مجرداً عن قصد المسجد، فتنبه وافهم والله أعلم)).

غرز الجريد على القبر

في تبويب البخاري "باب الجريدة على القبر. وأوصى بريدة الأسلمي أن يجعل على قبره جريدتان ... " قال ابن حجر: ((وكأن بريدة حمل الحديث على عمومه ولم يره خاصاً بذينك الرجلين. قال ابن رشيد: ويظهر من تصرف البخاري أن ذلك خاص بهما))[١١٧].

قال الشيخ ابن باز (رحمه الله): ((القول بالخصوصية هو الصواب لأن الرسول (عليه الصلاة والسلام) لم يغرز الجريدة إلا على قبور علم تعذيب أهلها، ولم يفعل ذلك لسائر القبور، ولو كان سنة لفعله بالجميع، ولأن الخلفاء الراشدين وكبار الصحابة لم يفعلوا ذلك، ولو كان مشروعاً لبادروا إليه، أما ما فعله بريدة فهو اجتهاد منه، والاجتهاد يخطىء ويصيب، والصواب مع من ترك ذلك كما تقدم والله أعلم)) .

وفي شرح أحاديث الباب نفسه ذكر ابن الحجر الخلاف في معنى القعود على القبر، هل هو القعود المطلق بمعنى الجلوس، أو هو الحدث[١١٨] . وأيد الشيخ ابن باز الأول بقوله: ((ويؤيده ما ذهب إليه الجمهور من النهي عن القعود على القبور مطلقاً ما رواه مسلم في صحيحه عن جابر قال: "نهى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يجصص القبر، وأن يقعد عليه، وأن يبني عليه"[١١٩] وهذا الحديث الصحيح وما جاء في معناه يدل على تحريم

---

(١١٧) فتح الباري ٣/٢٢٣ .

(١١٨) انظر فتح الباري ص ٢٢٤ .

(١١٩) كتاب الجائز، حديث رقم ٩٧٠ .

تجصيص القبور، والبناء عليها، لأن ذلك من تعظيمها، وهو من وسائل الشرك، كما وقع ذلك في كثير من الأمصار، فالواجب على أهل العلم وعلى جميع المسلمين إنكاره والتحذير منه، وإذا كان البناء على القبر مسجداً صارت المعصية أعظم، والوسيلة به إلى الشرك أظهر، ولهذا صح عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه لعن من اتخذ القبور مساجد، وقال (عليه الصلاة والسلام): "ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك"»[١٢٠] .

الروح

عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة» [١٢١].

قال ابن حجر في سياق فوائد الحديث: «وفي هذا الحديث إثبات عذاب القبر، وأن الروح لا تفنى بفناء الجسد؛ لأن العرض لا يقع إلا على حي. وقال ابن عبد البر: استدل به على أن الأرواح على أفنية القبور. قال والمعنى عندي أنها قد تكون على أفنية قبورها لا أنها لا تفارق الأفنية، بل هي كما قال مالك إنه بلغه أن الأرواح تسرح حيث شاءت»[١٢٢] .

قال الشيخ ابن باز (رحمه الله): «ما قاله ابن عبد البر ومالك في الأرواح ضعيف مخالف لظاهر القرآن الكريم، وقد دل ظاهر القرآن على أن الأرواح ممسكة عند الله سبحانه، وينالها من العذاب والنعيم ما شاء الله من ذلك، ولا مانع من عرض العذاب والنعيم عليها، وإحساس البدن أو ما بقي منه، بما شاء الله من ذلك، كما هو قول أهل السنة، والدليل المشار إليه قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي

---

(١٢٠) أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، حديث رقم ٥٣٢ .

(١٢١) كتاب الجنائز، حديث رقم ١٣٧٩ .

(١٢٢) فتح الباري ٢٤٣/٣ .

مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [١٢٣]، وقد دلت الأحاديث على إعادتها إلى الجسد بعد الدفن عند السؤال، ولا مانع من إعادتها إليه فيما يشاء الله من الأوقات، كوقت السلام عليه، وثبت في الحديث الصحيح "أن أرواح المؤمنين في شكل طيور تعلق بشجر الجنة"[١٢٤]، "وأرواح الشهداء في أجواف طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت"[١٢٥]الحديث، والله أعلم)).

حسنات الكافر إذا أسلم

عن حكيم بن حزام (رضي الله عنه) قال: ((قلت يا رسول الله، أرأيت أشياء كنت أتحنث بها في الجاهلية، من صدقة أو عتاقة وصلة رحم، فهل فيها من أجر؟ فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) أسلمت على ما سلف من خير)) [١٢٦] .

قال ابن حجر في شرحه للحديث: ((قوله (أسلمت على ما سلف من خير) قال المازري: ظاهره أن الخير الذي أسلفه كتب له، والتقدير أسلمت على قبول ما سلف لك من خير. وقال الحربي: معناه ما تقدم لك من الخير الذي عملته هو لك، كما تقول أسلمت على أن أحوز لنفسي ألف درهم. وأما من قال إن الكافر لا يثاب فحمل معنى الحديث على وجوه أخرى، فمنها أنك بفعلك ذلك اكتسبت طباعاً جميلة، فانتفعت بتلك الطباع في الإسلام، وتكون تلك العادة قد مهدت لك معونة على فعل الخير. أو أنك اكتسبت بذلك ثناءً جميلاً فهو باق لك في الإسلام . أو أنك ببركة فعل الخير هديت إلى الإسلام لأن المبادئ عنوان الغايات. أو أنك بتلك الأفعال رزقت الرزق الواسع)) [١٢٧].

---

(١٢٣) الزمر، الآية ٤٢ .

(١٢٤) أخرجه ابن ماجه، كتاب ما جاء ي الجنائز، حديث رقم ١٤٤٩، بلفظ ((إن أرواح المؤمنين في طير خضر تعلق بشجر الجنة)) .

(١٢٥) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، حيث رقم ١٨٨٧، بلفظ ((أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت)) الحديث .

(١٢٦) كتاب الزكاة، حديث رقم ١٤٣٦ .

(١٢٧) فتح الباري ٣٠٢/٣ .

وعلق على هذه المحامل الشيخ ابن باز (رحمه الله) قائلاً: «هـــذه المحامـــل ضـــعيفة والصواب ما قاله المازري والحربي في معنى الحديث وهو دليل على أن ما فعله الكافر مـــن الحسنات يقبل منه إذا مات على الإسلام والله أعلم» .

المبحث الرابع

المنهج

إن منهج الشيخ ابن باز (رحمه الله) في تعليقاته على ابن حجر في مسائل العقيدة في "فتح الباري" يبرز جانباً من شخصيته العلمية وتميزه فيها، ويتمثل المنهج بالنقاط الآتية:-

١- تقرير منهج أهل السنة والجماعة

نجد الشيخ (رحمه الله) يقرر في تعليقاته منهج أهل السنة والجماعة، ومن ذلك على سبيل المثال العبارات الآتية: -

والحق الذي عليه أهل السنة[١٢٨].

كما هو مذهب أهل السنة[١٢٩].

الصواب عند أهل السنة[١٣٠].

ويجوز عند أهل السنة[١٣١].

وهذا قول أهل السنة[١٣٢].

وقد عرف (رحمه الله) أهل السنة بقوله: « وأما أهل السنة وهم الصحابة (رضي الله عنهم) ومن تبعهم بإحسان »[١٣٣] .

كما وصف (رحمه الله) طريق أهل السنة بأنه طريق النجاة. وحث على التزامه لأن التزامه فوز بالنجاة والسلامة [١٣٤].

---

(١٢٨) راجع ص٥ .

(١٢٩) راجع ص٦ .

(١٣٠) راجع ص٦ .

(١٣١) راجع ص٦ .

(١٣٢) راجع ص٧ .

(١٣٣) راجع ص ١٠ .

(١٣٤) راجع ص١٣ .

ووصف طريق السلف بأنه الأسلم، والأقوم، والأعلم والأحكم . وحث على التمسك به[١٣٥]. وذلك رداً منه (رحمه الله) على من قال: «إن طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم »[١٣٦] .

وبين عقيدتهم في أسماء الله وصفاته بقوله: « عقيدتهم الإيمان بما جاء في الكتاب والسنة الصحيحة من أسماء الله وصفاته، وإثبات ذلك على وجه الكمال مع تنزيهه سبحانه وتعالى عن مشابهة المخلوق، وهذا هو الحق الذي لا يجوز العدول عنه » [١٣٧].

٢- الاختصار

إن المتأمل في تعليقات الشيخ ابن باز (رحمه الله) في كتاب "فتح الباري" ليلحظ سمة بارزة وهي الاختصار في التعليق والرد، ومع أهمية بعض المسائل التي علق عليها إلا أن تعليقه لا يتجاوز بضعة أسطر، ومن حرصه (رحمه الله) على الاختصار فإنك لا تجد عنده استطراداً في تعليقه، وهذا التعليقات الواردة في البحث كلها محصورة في موضع التعليق تماماً .

وإذا احتاج إلى الاستدلال في تعليقه فإنه في الغالب يكتفي بدليل واحد، وربما أشار إلى الدليل دون التصريح به، أو اقتصر على ذكر الشاهد من هذا الدليل.

٣- حسن الظن

إن اجتهاد الشيخ ابن باز (رحمه الله) في عمله في كتاب الفتح، ورغبته بانتفاع الناس منه، إنما يحمل معه حسن الظن بالحافظ ابن حجر (رحمه الله) وإن كان في الكتاب بعض الأخطاء التي حرص الشيخ على تصويبها، فهذا عمل البشر لا يخلو من الخطأ والزلل.

---

(١٣٥) راجع ص١١ .

(١٣٦) انظر، ابن القيم، الصواعق المرسلة ٣/١١٣٠ .

(١٣٧) راجع ص ١٢ .

كما أن تعليقات الشيخ (رحمه الله) تحمل في طياتها حسن الظن بابن حجر (رحمه الله) ومن ذلك على سبيل المثال: عندما قال ابن حجر: ((وإسناد الوعى إلى الله مجاز عن الإمساك)) علق الشيخ على هذه العباراة قائلاً: ((هذا خطأ لا يليق من الشارح))[١٣٨] .

٤- عدم التصريح بالاسم

إن المتتبع لهذه الاستدركات يجد أن الشيخ ابن باز (رحمه الله) لم يصرح أبداً باسم الحافظ ابن حجر في رده عليه في بعض المسائل، وإن كان قد صرح باسم غيره في مرات قليلة، كقوله ((وكذا ما قاله البيضاوي بعده باطل))[١٣٩].

و قوله: ((فيما قال الداودي نظر))[١٤٠].

وقوله: ((ما قاله ابن عبد البر ومالك في الأرواح ضعيف))[١٤١] .

وتحمل هذه التصريحات على أن الشيخ أراد أن ينبه على موضع الخطأ، وأن الخطأ الحاصل ليس من ابن حجر إنما هو من المصرح به .

وفي هذا الجانب فإن كلام الشيخ ابن باز ينصب على المسألة بعينها فيبين وجه الصواب والخطأ فيها، ولا يتعرض لقائلها . وهذا من آداب العلماء، فإن المهم عندهم بيان وجه الحق ونفع الناس، وليس تجريح الآخرين، وإنما يسلك أسلوب التجريح والكلام في الأشخاص من قلت بضاعته من العلم، وقل نصيبه من أدب العلماء .

٥- التعليل

إن منهج الشيخ (رحمه الله) في تعليقاته لا يتوقف على قوله هذا خطأ، وهذا صواب، بل إنه كثيراً ما يعلل قوله لتتضح المسألة للقارئ، ومن ذلك على سبيل المثال تعليله لعدم جواز غرز الجريدة على القبر[١٤٢].

---

(١٣٨) راجع ص ١٣ .

(١٣٩) راجع ص ١١ .

(١٤٠) راجع ص ٢٩ .

(١٤١) راجع ص ٣٣ .

(١٤٢) راجع ص ٣٢ .

وتعليله لعدم جواز الاستسقاء بالنبي (صلى الله عليه وسلم)بعد موته[١٤٣]، وتعليله لعدم جواز التبرك بآثار الصالحين[١٤٤] .

٦- الاستدلال

كثيراً ما كان الشيخ (رحمه الله) يستدل على أقواله، ويعتمد في هذا الاستلال على القرآن والسنة وأقوال السلف، ولم يخرج في هذه التعليقات المذكورة عن النوع من الاستلال، وكان (رحمه الله) يميل إلى الاختصار في الاستدلال .

وكان كثيراً ما يشير إلى أقوال الصحابة (رضي الله عنهم)، ويخص الخلفاء الراشدين منهم، ومن استدلاله بأقوال الصحابة ذهابه إلى قول عمر(رضي الله عنه) في المنع من تتبع آثار الأنبياء، وإن كان ابن عمر (رضي الله عنهما) يتتبع آثار النبي (صلى الله عليه وسلم)، فقد علل الشيخ ذهابه إلى قول عمر دون ابنه بقوله: "وهو [أي عمر] أعلم من ابنه بهذا. ويدل هذا على أنه إذا تعارض عنده قول صحابيين- على فرض صحتهما- ذهب إلى الأعلم منهما .

وعند استدلال الشيخ بالحديث فإنه يبين درجة الحديث، فإذا كان في الصحيحين أو أحدهما أشار إلى ذلك، كقوله « ثبت في صحيح مسلم أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال للجارية أين الله ؟ »[١٤٥]. وقوله: «ويدل عليه ما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً « الصلوات الخمس والجمعة... الحديث » [١٤٦].

وقد يشير إلى ما في الصحيحين بقوله: « ثبت في الحديث الصحيح»[١٤٧]، وإن كان في غيرهما فإنه يبين حكمه، كما في قوله لحديث رواه ابن ماجة: «ثبت في الحديث الصحيح أن أرواح المؤمنين في شكل طيور تعلق بشجر الجنة»[١٤٨] .

---

(١٤٣) راجع ص ٢٦ .

(١٤٤) راجع ص ١٧ .

(١٤٥) راجع ص ٦ .

(١٤٦) راجع ص ٢٥ .

(١٤٧) راجع ص ٣٣ .

(١٤٨) راجع ص ٣٣ .

٧- الوضوح في الرد والتعليق

الذي يقرأ تلك التعليقات التي كتبها الشيخ يفهمها مباشرة، فهي ليست بحاجة إلى شرح أو توضيح، بل إن بعض التعليقات تفهم من كلمة أو كلمتين في بدايتها، فإن الشيخ (رحمه الله) يصدر كلامه أحياناً بالحكم على ما ورد في الفتح ببعض العبارات، فمن ذلك على سبيل المثال: الصواب كذا ...، هذا فيه نظر ...، هذا خطأ بين ... ثم بعد ذلك يذكر شيئاً من التفصيل في المسالة من غير إطالة .

٨- الأدب مع المخالف

لقد تميز الشيخ عبد العزيز بن باز (رحمه الله) بالأدب الجم مع من يخالفه، ويتبين هذا من ردوده في مسائل العقيدة التي فيها مخالفة صريحة لمنهج أهل السنة والجماعة، ففي ردوده على ابن حجر وغيره ممن ورد عنهم مثل ذلك، فإنه لم يذكر أحداً منهم بسوء أبداً، بل يذكرهم بالخير ويترحم عليهم أحياناً .

ومن يطلع على ما يجري بين بعض العلماء الذين اختلفوا فيما بينهم في بعض مسائل العقيدة فإنه يجد العجب العجاب من التجريحات، والأوصاف السيئة التي يصف بعضهم بعضاً بها .

وعندما يريد التعليق على أمر خاطئ فإنه في الغالب لا يصرح بالتخطأة بل ينبه إلى ذلك بعبارات لطيفة، مثل: (والصواب كذا) يفهم منه أن ذلك الأمر خطأ . ومثل (ليس الأمر كذلك)، ومثل (هذا فيه نظر)، ومثل (ليس هذا التفسير بجيد) .

وكذا فقد ورد في تعليقاته قوله: « وأحسن من هذا » فهذه عبارة جميلة تفيد أن ما قاله ابن حجر حسن، ولكن الأحسن منه هو ما ورد في التعليق .

وأشد كلمة قالها في هذه التعليقات التي وقفت عليها قوله (هذا خطأ بين، وقول على الله بغير علم) وليس فيها أي تجريح للقائل، وهي متعلقة بمسألة مهمة من مسائل

العقيدة، وهي تعليق على قول ابن حجر: ((ويستنبط منه أن للولي المتمكن من النظر في الإشارة أن يأخذ منها عبارات ينسبها إلى الله تعالى))[١٤٩] .

ومثلها قوله (هذا خطأ ظاهر مصادم لصريح النصوص) وذلك في رده على ابن حجر (رحمه الله) في ذهابه إلى تأويل أحاديث النزول، حيث يقول ابن حجر في ذلك: ((وقال ابن العربي: وحكي عن المبتدعة رد هذه الأحاديث، وعن السلف إمرارها، وعن قوم تأويلها . وبه أقول))[١٥٠].

كما أن الشيخ (رحمه الله) لم يتعرض في هذه التعليقات التي وقفت عليها لسب طائفة أو شخص أبداً .

٩- كلمات الختام

من اللطائف البديعة في تعليقات الشيخ (رحمه الله) تلك الكلمات اللطيفة التي يختم بها تعليقة، والكلمات التي ترد عادة في رده هي على النحو التالي:-

والله اعلم، فتنبه، فتنبه واحذر، والله الموفق، واحذر ما خالفه تفز بالسلامة، فتنبه وافهم .

فإنه قلما يخلو تعليق من تعليقاته من ختامه بكلمة أو عبارة من هذه العبارات .

ولكن إذا تأملنا على ماذا تدل تلك العبارات في ختام كلامه، فإنني أعتقد – والله أعلم – أنها تدل على أمور منها:-

- التواضع في العلم والخوف من الزلل، ولذا فإنه كثيراً ما يختم كلامه بـ (الله أعلم).
- لإخلاص والرغبة في نفع الآخرين، فإنه كثيراً ما يعقب بكلمات حث على الانتفاع والدعاء بالتوفيق .
- رغبته في لفت النظر إلى أهمية المسائل .

---

(١٤٩) راجع ص ٢٧ .

(١٥٠) راجع ص ١١ .

الخاتمة

بعد الوقوف على كثير من تعليقات الشيخ عبد العزيز بن باز على ابن حجر في "فتح الباري" وجدنا ما ورد عن الحافظ ابن حجر (رحمه الله) في تأويل في بعض الصفات، كصفة المحبة، والصوت، والحياء، والاستواء، واليد، والنزول وغيرها، وما بينه ابن باز (رحمه الله) في تعليقاته من أنه لا حاجة إلى التأويل في مثل هذه الصفات، بل الواجب إثباتها لله سبحانه وتعالى على الوجه الذي يليق بجلاله، وتنزيهه عن مشابهة المخلوقين .

كما وجدنا أيضاً ما ذهب إليه ابن حجر من الاستدلال ببعض الأحاديث الواردة في بركة الرسول (صلى الله عليه وسلم) على جواز التبرك بالصالحين وآثارهم . ورد ذلك الشيخ ابن باز (رحمه الله) وبين بأن ذلك من خصوصيات الرسول (صلى الله عليه وسلم) و لم يفعله الصحابة من بعده، وهو وسيلة مفضية إلى الشرك فدل على عدم جوازه .

ويوصي الباحث بأمور منها:-

١- أن يجتهد العلماء من أهل السنة والجماعة بالتعليق المختصر على بعض كتب العلم المتداولة بين الناس، والتنبيه على ما فيها من أخطاء، فذلك خدمة لها ولأهل العلم.

٢- أن يهتم طلبة العلم ممن يرجعون إلى فتح الباري بتلك التعليقات والانتفاع منها وعدم إغفالها .

٣- أن يقوم بعض الباحثين بدراسة التعليقات الفقهية والحديثية في فتح الباري .

والحمد لله رب العالمين

قائمة مراجع البحث

١- **القرآن الكريم**

٢- **ابن حجر العسقلاني ودراسة مصنفاته ومنهجه وموارده في كتاب الإصابة**، شاكر عبد المنعم، (دار الرسالة للطباعة، بغداد) .

٣- **الجامع الصحيح**، البخاري، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط١ (المطبعة السلفية، القاهرة، ١٤٠٠).

٤- **الحافظ ابن حجر أمير المؤمنين في الحديث**، عبد الستار الشيخ، ط١ (دار القلم، دمشق ١٤١٢) .

٥- **سنن ابن ماجه**، تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، (المكتبة الإسلامية، استانبول).

٦- **شرح صحيح مسلم**، النووي، ط٢ (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ).

٧- **صحيح مسلم**، (رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٠٠هـ).

٨- **الصواعق المرسلة** ، ابن القيم، تحقيق الدكتور علي بن محمد الدخيل ، ط١ (دار العاصمة ، الرياض، ١٤٠٨) .

٩- **فتح الباري**، ابن حجر، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، تصيح وتعليق سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، نشر(رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض).

١٠- **مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ عبد العزيز بن باز** ، جمع د. محمد بن سعد الشويعر ، ط٢ (رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤١١).

١١- **مسند الإمام أحمد**، ط٥ (المكتب الإسلامي، بيرووت، ١٤٠٥هـ) .

١٢- **مفتاح دار السعادة**، ابن القيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٣- **منهج الحافظ ابن حجر العسقلاني في العقيدة**، محمد إسحاق كندو، ط١ (مكتبة الرشد، الرياض ، ١٤١٩) .

فهرس البحث

المقدمة ١
تمهيد ٤
المبحث الأول: صفات الله سبحانه وتعالى ٥
صفة المحبة ٥
صفة الصوت ٥
(أين) و(حيث) في حق الله..... ٦
صفة الحياء ٧
الاستواء على العرش ٧
صفة اليد..... ٨
صفة الغيرة ١٠
صفة العلو ١٠
صفة النزول ١١
صفة اليمين ١٢
القول في (أوعى الله عليه) ١٣
المبحث الثاني: التبرك بالصالحين وآثارهم ١٤
المبحث الثالث: مسائل متفرقة في العقيدة ٢٠
أول واجب على المكلف ٢٠
دخول الجنة ٢٠
التحسين والتقبيح العقلي ٢١
اختيار العبد ٢١
الجريد على القبور ٢٢
عموم رسالة نوح ٢٣
رؤية النبي (صلى الله عليه وسلم) لربه ليلة الإسراء ٢٤
القول في حياة الخضر ٢٤

تكفير الذنوب ٢٥
الاستسقاء بالرسول (صلى الله عليه وسلم) بعد موته ٢٦
التفويض في الحاجات ٢٦
نسبة القول إلى الله ٢٧
تفسير التوكل ٢٨
سبب دخول الجنة ٢٨
عدم التعذيب بعد قبول الحسنة ٢٩
شد الرحال إلى المساجد ٣٠
شد الرحال إلى قبر الرسول (صلى الله عليه وسلم) ٣١
غرز الجريد على القبر ٣٢
الروح ٣٣
حسنات الكافر إذا أسلم ٣٤
المبحث الرابع: المنهج ٣٥
١- تقرير منهج أهل السنة والجماعة ٣٥
٢- الاختصار ٣٦
٣- حسن الظن ٣٦
٤- عدم التصريح بالاسم ٣٧
٥- التعليل ٣٧
٦- الاستدلال ٣٨
٧- الوضوح في الرد والتعليق ٣٩
٨- الأدب مع المخالف ٣٩
٩- كلمات الختام ٤٠
الخاتمة ٤١
قائمة مراجع البحث ٤٢